الجمهورية
الخميس 29-05-2014 العدد 955

"أشنار" حوارٌ عن الحقيقة المطلقة

ميريام سلامة

"تخفيفُ آلام الناس أرقى فنون السعادة الإنسانيّة. لماذا يا أشنار، لا ينظر أحدُنا إلى الآخر بنظرةِ العاطفة والمحبَّة؟ الإنسان والحقيقة المُطلقة متلازمان، إنَّهما مقياسان متكامِلان مُتفاعِلان للوصول إلى الحقيقة الكاملة.
وما قيمةُ الحقيقة إن لم تَتَّخِذ إحداثيّات الزمان والمكان، وتسكن في الأسماء والمجتمع والتاريخ؟"، هذا ما كتبه هنري صفير في روايته الأولى "أشنار".

كتب السياسي هنري صفير روايته الأولى «أشنار»، وهي من إصدار دار «نوفل» التابعة لدار «هاشيت أنطوان» العربيّة للنشر، تحكي قصة أشنار، أمير بيبلوس، الذي يُغادر مملكة والده بحثاً عن المُطلَق. يسافر إلى أثينا، ويتعلّم على يَد أفلاطون، ثم يعود إلى أفقا ويكتشف الحب، ويعود فيتخلّى عنه طمعاً في اكتشاف هذا المُطلَق الذي يُلاحقه إلى بابل. وفي الطريق، يتعرّض لعدد من المواقف التي تكشف له خطورة مواجهة ما هو باحثٌ عنه، فهو بات يخشى أن يهرم أكثر كلّما سعى إلى اكتشاف حقيقة أكبر.

تتضمَّن الرواية أسئلة فلسفيّة ووجوديّة كثيرة. وتُعرِّف القارئ إلى أبرز فلاسفة اليونان وحضارتهم ونزاعاتهم، فأولويّة الكاتب ليست سرد قصّة، بقدر ما هي عرض لحوار مُتعلّق بالمسائل الفلسفيّة والوجوديّة.

يوقّع صفير روايته عند الخامسة من بعد ظهر اليوم، في قاعة بيار أبي خاطر في جامعة القدّيس يوسف، طريق الشام - بيروت. وقد حصلت «الجمهورية» على مقتطف خاص وحصري من «أشنار»، يُعطي لمحةً عن التساؤلات الفلسفيّة التي يطرحها الكاتب.

«كان التلاميذُ جميعاً مندهشين من التأثير الذي أحدَثَه فيهم كلامُ أفلاطون. وكان أشنار، في تلك الأثناء، مُطرِقاً يتجاذبُه سؤالان أساسيّان: لِمَ دعوةُ أفلاطون إلى الإقبال على السياسة، والقبول بالحُكم؟

فاجأَتْهُ هذه الدعوة لأنَّ سياسة أبيه في بيبلوس جعلتهُ ينفرُ من «الواقعية السياسيَّة»، ويزهدُ في الحُكم.

> "الحقيقةُ حالةٌ في أجسادِنا تنزلُ إلينا وتَتَشبَّهُ بِنا"

أكثر ما حَيّره هو طرح أفلاطون القائل إنَّ على الدراسات أن تكون متوجِّهة دوماً إلى البحثِ عن الحقيقة، وإنَّ مِن المنطق أن يخوضَ الإنسانُ مِن أجلِها مغامرة العقل، وأن يَمضيَ في البحث عنها، على رغم موقفه الواضح في إعلانه أنَّ الحقيقةَ المُطلقة لن يُدركَها أحَد.

وبينما كانت الحيرة تنهشُ أشنار، تقدَّمَ منه أفلاطون، واقترحَ عليه التوجّه معه إلى الباحة الخارجيّة، للتَحدُّث قليلاً في الهواء الطَلْق.

وهكذا قادَتْ أشنار خَطواتُهُ إلى هيكلِ «أبولون»، فهيكلِ آلهة الشعر، فإلى الحوش الفسيح حيث تنتشرُ تماثيل صخريّة متعدّدة تمثِّلُ آلهة الإغريق.

توجَّهَ إليه أفلاطون سائلاً:

- رأيتُكَ امتعضتَ هُنَيهةً عند إلقائي كلمة الافتتاح.

أجابَ أشنار، ولعلَّهُ أرادَ أن يستَدرِجَ أفلاطون إلى الكلام، فقال مُعَبِّراً عن إعجابِه:

- ما كان أبلغَ خُطبَتَكَ، يا معلّمي، هذا اليوم!

- شكراً لكَ يا أشنار.

وَهَمَّ أفلاطون بالمتابعة، لكنَّ أشنار قاطَعَهُ مُستَدركاً:

- لقد رأيتَني مُمتَعضاً عندما صَرَّحتَ بأنّ الحقيقة المُطلقة لن يُدركَها أحد. أين تكمُنُ الحقيقة المُطلقة يا معلّم؟

فقالَ أفلاطون مُجيباً:

- كثيرون اعتقدوا أنَّ الحقيقة كامنةٌ في الشمس التي تسطعُ بنورها علينا وتَكشِفُ حقيقة الأمور، ولذلك أَلَّهَ المصريون الشمسَ وعَبَدوها تحت اسم الإله «رع» (Ra). وبعَد ذلك، قامَ أحدُ الإغريقيين واسمُهُ «إيكاريوس»، فصَنَعَ لنفسِهِ جَناحَين مِن شمع العَسَل، واستعانَ بِهِما فطارَ في الهواء نحو الشمس للبحثِ عن سرِّ الحقيقة. وما إن اعتلى حتى ذابَ شمعُ العَسَل وسقطَ «إيكاريوس» مِن عَلَيائِهِ واحترَقَ وانحَدَرَ مُتَزَمِّداً إلى الهاوية.

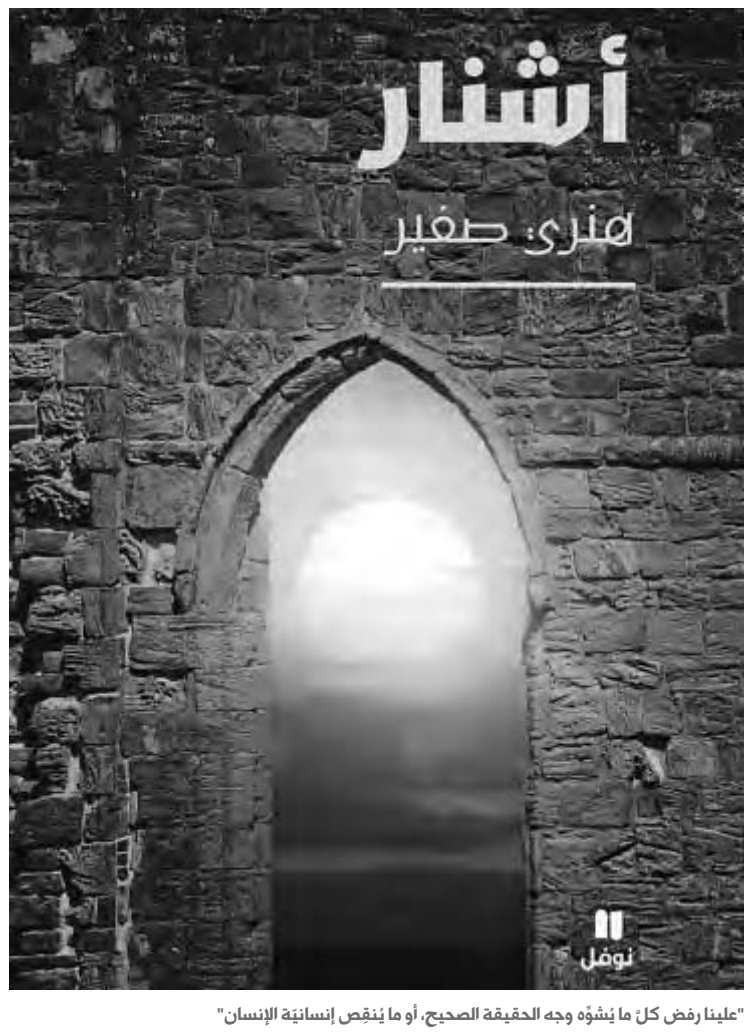

"علينا رفض كلّ ما يُشوّه وجه الحقيقة الصحيح، أو ما يُنقِص إنسانيّة الإنسان"

اندهشَ أشنار مِن هذا الكلام وسأل:

- وَمَن يدلُّنا على الحقيقة يا معلّم؟

فنظرَ أفلاطون إليه وقال:

- إنّهم الفلاسفة والحكماء الذين يتخطّون بعقلِهِم واقِع الأمور إلى أصولها ليَجدوا شيئاً من الحقيقة، لأنَّ الحقيقة تهربُ مِن العادات المتداولة وسْطَ الصخب والضجيج، ويُكتَشفُ وجهٌ مِنها بالتأمّل، والصمت، والعزلة، والسكينة. أفهمُ رَغبتك في البحث عن المُطلَق لكنْ يا أشنار، عليكَ السيرَ نحو المُطلَق، وليس بالضرورة أن تُدرِكَه.

وأردفَ أفلاطون قائلاً:

- الناسُ يَعشقون الربوبيّة والسلطة وتبهرهم مظاهرهما. وصاحبُ السلطة كثيراً ما يبتعد من الحقيقة، ويعرف أن يعيش أكذوبةً مُوَقَّتة، ولكنَّه يُمَنّي النفسَ بديمومتِها. صاحبُ السلطة غالِباً ما يُصدِّقُ الأكذوبة التي اخترَعَها. واعلَم يا أشنار، أنَّ صاحبَ السلطة الذي لا يواسي إخوانَهُ وهو في عزِّه، يخذُلُهُ إخوانُهُ وهو في فاقَتِه.

وتابعَ أفلاطون مشيراً بإصبعهِ نحو تماثيل آلهة الإغريق، وقال:

- أترى يا أشنار كلَّ هذه الآلهة؟ لماذا تعتقد أنَّ الآلهة كَثُرَت في النفوس؟ لأنَّ كلّاً مِن هذه الآلهة لا يُدرك إلّا وجهاً من وجوه الحقيقة ولا يُدركها بكاملها. ولو أحدٌ مِنها أدرَكَ الحقيقة بكامِلِها لاعتلى فوق الآلهة وأصبحَ الإله الوحيد، ولانحصرَتْ الألوهيّة به دونَ سِواه، فأغنانا عن كلِّ ما عَداه».

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"